

## مشاهير الرواة

مما لا ريب فيه أن الكتابة كانت شائعة في الحواضر وبخاصة في مكة التاجرة ، وفي السيرة النبوية أن رسول الله ﷺ جعل فداء الأسرى القرشيين الكاتبين في بدر أن يعلم الأسير منهم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة<sup>(١)</sup> .

ومن بين هؤلاء الكتاب من كان يكتب بين يديه الوحي وما يعرض من أموره وأمور المسلمين في عقودهم ومعاملاتهم وهؤلاء كثرة كاثرة<sup>(٢)</sup> ، فالكتابة كانت معروفة بل كانت شائعة في الجاهلية .

ورويت أخبار متفرقة تدل على بعض الشعراء استخدمها بلاغاً شعرياً لقومه في بعض ما حزيه من الأمر<sup>(٣)</sup> وقد كان مغالياً المستشرق ( كرنكو ) حينما زعم أن نظم الشعر في الجاهلية كان مرتبطاً بها وبمعرفة دليل اختلاف القراءات للفظة الواحدة ، وأيضاً فإن استخدام الشاعر لبعض القوافي النادرة يدل على أنه كان يلاحظ العين أكثر مما يلاحظ الأذن<sup>(٤)</sup> .

وأكبر الظن أن اختلاف القراءة إنما نشأ في عصر التدوين أو بعبارة أخرى في القرن الثاني الهجري ، وأيضاً فإن الشعر سمعي ، وليس فناً بصرياً كما زعم ( كرنكو ) مما دفعه إلى المغالاة في مقولته السالفة الذكر ، والحق أنه ليس بين أيدينا دليل مادي على أن الجاهليين اتخذوا الكتابة وسيلة لحفظ أشعارهم ، وربما كتبوا بها بعض القصائد حيث إن

(١) طبقات ابن سعد ج١ إلى ص ١٤ .

(٢) الوزراء والكتاب للجهمشاري ص ٢ ط الحلبي بتصريف .

(٣) مصادر الشعر الجاهلي .

(٤) العصر الجاهلي د/ شوقي ضيف ص ١٣٩ ط دار المعارف بالقاهرة بتصريف .

وسائل الكتابة يومذاك كانت جد عسيرة ، ولا غرو فقد كانت وسائلها الحجارة ، الجلود ، وعظم الحيوان ، وسعف النخيل ، فمما لا ريب فيه أنها أشياء عسيرة ويصعب الكتابة عليها وأيضاً لا تشجع الشعراء على كتابة دواوينهم وتسجيل أشعارهم لنقلها إلى غيرهم من الأجيال اللاحقة ، وإنما حدث ذلك فى الإسلام بفضل القرآن الكريم ، وما أشاعه من كتابة آيه وتحول جمهور العرب معه من أميتهم الكبيرة إلى قارئين يتلون<sup>(١)</sup> ، وإن كان القرآن الكريم على قداسته لم يجمع فى مصحف واحد إلا بعد أن لحق الرسول عليه السلام بالرفيق الأعلى ، فإن ذلك وحده كاف لبيان أن العرب لم تنشأ لديهم فى الجاهلية فكرة جمع أشعارهم ، أو أطراف منه فى كتاب ، إنما أنشأ ذلك فى الإسلام وبمرور الزمن .

أما فى الجاهلية فكان اعتمادهم على الرواية حيث كان الشاعر ينشد قصيدته ويحفظها الناس ويروونها عنه ، ثم يتناقلها الرواة حتى تسير بها الركبان ، ويسمع بها وينشدها القاصى والدانى ، ومعنى ذلك أن الشعر الجاهلى مصدره الرواية الشفوية التى ظلت حقبةً متتالية فى الإسلام ، والدليل على ذلك أن حديث رسول الله عليه السلام ظل معتمداً على الرواية الشفهية إلى نهاية القرن الأول الهجرى ، فإذا كان الحال كذلك بالنسبة للسنة المطهرة فما بالك بالشعر الجاهلى ؟ فمما لا ريب فيه أن الرواية عماده .

ويقول الدكتور (شوقى ضيف) فرواية الشعر فى العصر الجاهلى كانت هى الأداة الطبيعية لنشره وذيوعه<sup>(٢)</sup> وهذا مما لا يختلف عليه اثنان .

### مشاهير الرواة وطبقاتهم :

وقد قسم العلماء المشاهير من الرواة إلى طبقات متباينة فمنهم الشعراء الرواة ، والشعراء الذين لم يتخصصوا فى رواية شعر شاعر بعينه ، بل كانوا يروون لشعراء كثيرين ورواة القبائل وهكذا ، ولنشرع الآن فى إلقاء الضوء عليهم .

(١) العصر الجاهلى د/ شوقى ضيف ص ص ١٣٩ - ١٤٠ ط دار المعارف بالقاهرة بتصرف .

(٢) ذاته ١٤٢ مرجع سابق .

## أولاً : طبقة الرواة من الشعراء :

أولى هذه الطبقات وأولها بالتقديم هي طبقة الشعراء الرواة ، فقد كان من يريد نظم الشعر ويصوغه يلزم شاعراً يروى عنه شعره وما يزال وحاله كذلك حتى يتفتق لسانه ، وينساب بالشعر ، ومن هؤلاء الشعراء الرواة (أوس بن حجر التميمي) فعنه أخذ الشعر ورواه حتى أجاد نظمه (زهير بن أبي سلمى المزني) وكان له روايتان (كعب ابن زهير) و (الخطيئة) وعن الخطيئة تلقن الشعر ورواه (هدبة بن خشرم العذري) ، وعن هدبة أخذ (جميل بثينة) وعن جميل أخذ (كثير صاحب عزة)<sup>(١)</sup> .

وبهذا تكتمل لدينا سلسلة من الشعراء الرواة يكون لهم من الخصائص الفنية التي تجمع بينهم ما يبيح لنا أن نسميهم (مدرسة شعرية)<sup>(٢)</sup> وتلك الطبقة هي التي كانت تروى شعر شاعر بعينه كما أومأنا إلى ذلك آنفاً من أن زهير بن أبي سلمى كان راوية لأوس ابن حجر وهكذا . فيحفظ ثم يروى ويتلمذ حتى يصبح ذلك التقليد فطرة لديه فينسب الشعر على لسانه أنهرأ .

وهناك طائفة أخرى يرددون شعراً لمن سبقهم ولبعض من عاصرهم من الشعراء ، ولا يحددون شاعراً معيناً يتلقون عنه ، أو يتلمذون على يديه ، بل يروون مناهل شتى ، ثم يصدرون وقد كملت شخصياتهم الشعرية المستقلة وقد قسم النقاد القدامى الشعراء إلى أربع طبقات وجعلوا في مقدمتهم الشعراء الفحول وهم الشعراء الرواة للشعر قال الأصمعي : قال رؤبة :

( الفحول هم الرواة)<sup>(٣)</sup> يريد الذين يروون شعر غيرهم فيكثر تصرفهم في الشعر ويقوون على القول . أما الطبقة الأولى فهؤلاء الشعراء الذين يُكوّنون مدرسة شعرية منسقة تبدأ بالشاعر (أوس بن حجر) وتنتهي بالشعر (كثير عزة) حيث إن (زهير

(١) الأغاني ١/ ٩١ ط دار الكتب المصرية .

(٢) في الأدب الجاهلي للدكتور طه حسين ط الرابعة ص ٢٩٧ .

(٣) البيان والتبيين للجاحظ ٢/ ٩ ت هارون مكتبة الخانجي سنة ١٤٠٥ هـ سنة ١٩٨٥ م والمصدر نفسه

٨/ ٢ تحقيق حسن السندوي المكتبة التجارية مطبعة الاستقامة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م والعمدة لابن

رشيق القيرواني ١/ ٧٣ .

ابن أبي سلمى) كان راوية لأوس وتلميذاً له<sup>(١)</sup> علماً بأن ابن قتيبة الدينوري يجعل أستاذاً آخر وهو خاله (بشامة بن الغدير) ثم صار (زهير) أستاذاً لابنه (كعب) والحطيئة<sup>(٢)</sup> وكان الحطيئة متين الشعر شرود القافية ، وكان راوية لزهير وآل زهير حتى قال الحطيئة لكعب بن زهير : ( قد علمت روايتي شعر أهل البيت ، وانقطاعي إليكم وقد ذهب الفحول غيري وغيرك فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك وتضعني موضعاً ، فإن الناس لأشعاركم أروى إليها أسرع فقال كعب :

فمن للقوافي شأنها من يحوكها إذا ما ثوى كعب وفوز جزول  
كفيتك لا تلقى من الناس واحداً تتخلى منها مثل ما يتنخل  
يشقفها حتى تلين متونها فيقصر عنها كل ما يتمثل<sup>(٣)</sup>

ونحن نميل إلى رأى ابن قتيبة الدينوري والذي يجعل لزهير أستاذاً آخر يعنى خاله (بشامة) فقد كان لخاله دور كبير فى شاعريته كما كان لزهير دور فى شاعرية ابنه (كعب) ونستطيع القول بأنه البيئة لعبت دوراً أساسياً فى شاعريتهم جميعاً فقد كان زهير شاعراً وخاله بشامة بن الغدير شاعراً وابناه كعب وبحير شاعرين وأختاه سلمى والخنساء شاعرتين ، فكأنما هؤلاء القوم خلقوا للشعر ، وصيغت نفوسهم منه . ابن خشرم ( الشاعر وتلمذ للحطيئة وصار راويته )<sup>(٤)</sup> ثم تتلمذ (جميل بن معمر العذري) ( لهديبة ابن خشرم ) وروى شعره ثم كان آخر من اجتمع له الشعر والرواية ( كثير عزة ) تلميذ (جميل) وراويته<sup>(٥)</sup> .

### ثانياً : الطبقة الثانية :

والطبقة الثانية هم الشعراء الذين لم يختصوا برواية شعر شاعر معين ، بل كانوا يروون الشعر لكثيرين ويتلمذون عليهم جميعاً حتى يستقيم عودهم ويقرضون الشعر بعد اكتمال نموهم الشعري ، وهذه الطبقة حفظ شعراؤها الشعر الجاهلى ورووه وتمثلوا

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري ١/ ٨٦ .

(٢) ذاته ، ١/ ٩٣ .

(٣) طبقات ابن سلام ص ٣٣ ، ٣٤ المطبعة المحمودية ، والشعر والشعراء ص ١٠٦ .

(٤) ذاته .

(٥) الأغاني ٢/ ٩١ .

به ، ولقد تعدى الأمر إلى أكثر من هذا حيث إنهم تصدوا له بالنقد والحكم على شعر الشعراء من حيث الجودة والرداءة ، وتلك مهمة الناقد ، كما أنهم فاضلوا بين الشعراء ، والدليل على أن هؤلاء الشعراء والرواة بلغوا من التمكن فى الرواية والحفظ تمكناً دفعهم إلى النقد السليم واعتماد العلماء الذين أتوا من بعدهم أحكامهم التى حكموا بها على الشعر والشعراء وأخذوا عنهم ومن الشعراء الرواة (الطرماح) قال (محمد بن سهل) راوية الكميت : أنشدت الكميت قول الطرماح :

إذا قبضت نفس الطرماح أخلفت عرى المجد واسترختى عنان القصائد

قال : فقال : ( الكميت ) أى والله ، و ( عنان الخطابة والرواية ) (١) .

والكميت بن زيد كان راوية عالماً بلغات العرب خبيراً بأيامها ومثالبها كما كان رؤية ابن العجاج راوية للشعر الجاهلى ، وكان ينقده ويحكم عليه ويقال إن ذا الرمة راوية راعى الإبل (٢) . فقد كان يروى شعره ويجعله إماماً (٣) ، وكان يؤخذ عنه بعض الشعر الجاهلى وقد أخذه عنه يونس بن حبيب قصيدة (عبيد بن الأبرص) الحائثة التى يصف فيها المطر ، وجعلها (يونس) من أجل ذلك لعبيد بن الأبرص ، وإن كان للفضل الضبى صرفها إلى أوس بن حجر (٤) .

وهؤلاء الرواة لم يكونوا يقفون عند رواية الشعر القديم مجردة ، بل كانوا يضيفون إليها كثيراً من الأخبار عن الجاهلية وأيامها ، وكانوا يتخذون لأنفسهم حلقات فى

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ ٤٦/١ تحقيق عبد السلام هاون ط الخامسة مكتبة الخانجي ، وراجع أيضاً الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٥٦٧ . ط دار المعارف بمصر .

(٢) طبقات الشعراء للجمحى ص ٢٠٧ .

(٣) الموشح للمرزبانى ص ١٧٠ .

ذو الرمة : هو غيلان بن عقبة أحد بنى عدى بن عبد مناة بن أد . وراعى الإبل هو الراعى النميرى . . عبيد بن حصين كان من رجال العرب ووجوه قومه وكان مع ذلك بذياً هجاء لعشيرته .

(٤) طبقات ابن سلام الجمحى ص ٧٦ وما بعدها .

المسجد الجامع يحاضرون فيها الطلاب ، وفي أثناء ذلك يشرحون لهم بعض الألفاظ الغريبة ، أو يفسرون لهم ظروف النص التاريخية<sup>(١)</sup> .

وكذلك كان ( جرير ) و ( الفرزدق ) وفي أخبار الشعراء ما يدل دلالة حاسمة على أنهما كانا على معرفة بأخبار الجاهلية وأيامها ورواية شعرها ، ومما يدل على ذلك أن علماء القرن الثاني قد أخذوا بعض علمهم عن الجاهلية وشعرها عن هؤلاء الشعراء وبخاصة ( جرير والفرزدق )<sup>(٢)</sup> .

أما جرير فيقول الجاحظ : « ومن القدماء العلماء بالنسب وبالعراب : « الخطفى » وهو جد « جرير بن عطية بن الخطفى » وهو حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب ابن يربوع ، وإنما سمي ( الخطفى ) لأبيات قالها وهي :

يرفعن بالليل إذا ما أسدفا      أعناق جنان وهاما رجفا

وعناقا باقى الرسيم خيطفا<sup>(٣)</sup>

وذلك دليل على أنه كان شاعراً ، وقد أدركه ( جرير ) وعنه أخذ<sup>(٤)</sup> كما روت بنت جرير عن أبيها أخباراً عن أيام الجاهلية ومنها ( خبر يوم ذى قار )<sup>(٥)</sup> وكان خلفاء بنى أمية يسألونه عن الشعراء الجاهليين منهم والإسلاميين فيخبرهم بشعرهم وبنقده وأحكامه على هؤلاء الشعراء<sup>(٦)</sup> ، فهو لم يقف عند حد الرواية ، بل يفهم من ذلك أنه كان ناقداً للشعر أيضاً وذلك دليل على حذقه ومهارته فى الرواية ، وفهمه لشعر هؤلاء الشعراء ، وتمييز الجيد من الردىء منه ، وقد أفاد ( جرير والفرزدق ) من روايتهما للشعر الجاهلى حيث إنهما عرفا أخبار الجاهلية وأنساب العرب ، وقد ضمنا شعرهما ذلك فى المدح

(١) العصر الجاهلى د/ شوقى ضيف ص ١٤٨ .

(٢) مصادر الشعر الجاهلى للأسد بتصرف ط دار المعارف القاهرية .

(٣) البيان والتبيين للجاحظ ١/ ٢٦١ .

(٤) طبقات فحول الشعر ص ٣١٩ وما بعدها .

(٥) النفاض ص ٦٤٧ ومصادر الشعر الجاهلى ص ٢٣٧ بتصرف .

(٦) أمالى القالى ٢/ ١٧٩ . العتق : ضرب من السير . الخيطف : السريع .

والهجاء ، ولذلك قال أبو عبيدة عنهما : هما بشس الشيخان ما خلق الله أشأم منهما على قومهما ، إنهما أخرجنا مثالب بنى تميم وعيوبهم وكانا أعلم الناس بعيوب الناس<sup>(١)</sup> .

أما الفرزدق ، فقد تعلم الشعر وروايته وكلام العرب وهو صغير السن فيروى أن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال المجاشعي دخل على أمير المؤمنين على ابن أبي طالب رضى الله عنه ومعه ابنة همام الفرزدق وهو غلام يومئذ فسأله قائلاً : من هذا الغلام ؟ قال : هذا ابني . قال ما اسمه ؟ قال : ( همام ) وقد رويته الشعر يا أمير المؤمنين وكلام العرب ، ويوشك أن يكون شاعراً مجيداً<sup>(٢)</sup> .

وكان كثير الرواية لشعر امرئ القيس حافظاً لأخباره ويرجع العلماء السبب في ذلك إلى صحبة عمه شرحبيل بن الحارث لامرئ القيس قبل يوم الكلاب ، وكان شرحبيل مسترضعاً في بنى دارم رهط الفرزدق فلحق امرؤ القيس بعمه ، فلذلك حفظ الفرزدق أخباره<sup>(٣)</sup> .

ويقول الجاحظ عن الفرزدق : هو راوية الناس وشاعرهم وصاحب أخبارهم<sup>(٤)</sup> ويقول عنه يونس : ( لولا شعر الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس )<sup>(٥)</sup> وذلك دليل على أن الفرزدق كان راوية لشعر الجاهليين عالماً بأخبارهم وأيامهم ، وله قصيدة شعرية يذكر فيها شعراء الجاهلية وطرفاً من أخبارهم مع توجيه النقد لأشعارهم ، وفي ذلك دليل آخر على روايته وعلمه بما يرويه من أشعارهم وأخبارهم وأيامهم حيث إنه لم يقف عند حد الرواية فحسب ، بل إنه يروى ويحلل وينقد ، ولا يتأتى ذلك إلا لراوية خبير ، وعالم ناقد بصير ، فيقول :

(١) النقااض ص ١٠٤٩ .

(٢) خزانة البغدادي ١/ ٢٢٣ ت هارون الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٩ الطبعة الثانية .

قال له على رضى الله عنه : أقرئه القرآن فهو خير له ، فكان الفرزدق يروى الحديث ويقول : ما زالت كلمته في نفسى حتى قيد نفسه بقيد وأبى ألا يفكه حتى يحفظ القرآن . فما فكه حتى حفظه وعاش حتى قارب المائة ومات سنة عشر ومائة .

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/ ٧٠ وما بعدها بتصرف والجمهورية ص ١٨٥ .

(٤) البيان والتبيين للجاحظ ١/ ٣٢١ .

(٥) ذاته .

وهب القصائد لى النوابع إذ مضوا وأبو يزيد وذو القروح وجرول  
والفحل علقمة الذى كانت له حلل الملوك كلامه لا يتنحل  
وأخو بنى قيس وهن قتلنه ومهلل الشعراء ذاك الأول  
والأعشيان كلاهما ومرقش وأخو قضاة قوله يتمثل  
وأخو بنى أسد عبيد إذا مضى وأبو دؤاد قوله يتنحل  
وابنا أبى سلمى زهير وابنه وابن الفريعة حين جد المقول<sup>(١)</sup>

إلى آخر الأبيات مما يدل على معرفته التامة بالشعر والشعراء وأخبارهم .

ثالثاً : الطبقة الثالثة وهى طبقة رواة القبائل :

ولقد كان الشعر ديوان العرب الذى يسجل مفاخرها ومجودها وعزتها ومآثرها ، وكانت العرب لا تحتفل ولا تقيم الموائد إلا إذا نبع فى القبيلة شاعر أو ولد لأحدهم مولود ذكر حيث إنهم كانوا يرون فى الشاعر أنه الذاب عن أعراضهم ، والمدافع عن أنسابهم وأحسابهم ، والحامى لمجودهم المتغنى بشجاعتهم والمترجم الشادى ببسالتهم فى خوض المعارك والحروب ، أما الغلام فيرون فيه أنه حامى الحمى ، وحامل السيف ، والذاب عن العرض والشرف ، ولو أنه بذل فى سبيل ذلك مهجته ، حتى قال شاعرهم :

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغايات جر الذبول

ولابن رشيق القيروانى كلام مفيد فى هذا الباب<sup>(٢)</sup> والدليل على صدق ما أومأنا إليه أنفاً أن بنى تغلب كانوا يعظمون قصيدة ( عمرو بن كلثوم ) وكان يرونها كل أبناء القبيلة الصغار منهم والكبار وظلوا كذلك حتى هجاهم بعض الشعراء ، وغيرهم بذلك بعض الشعراء ، حيث قال :

إلهى بنى تغلب عن كل مكرمه قصيدة قالها عمرو بن كلثوم<sup>(٣)</sup>  
يرددونها أبداً منذ كان أولهم بالرجال لشعر غير مسئوم

(٢) انظر العمدة ١ / ٤٩ وما بعدها .

(١) الديوان ، ص ٧٣٠ وما بعدها .

(٣) الأغاني ٦١ / ٥٤ ط دار الكتب المصرية .

ولذلك كانت القبيلة مصدرراً من مصادر الرواية للشعر الجاهلي فقد كانوا يروون لشعرائهم ، وأحياناً يروون لشعراء آخرين من قبائل أخرى ذلك الشعر الذي يمتدحونهم به ، ولهذا السبب أخذ العلماء الرواة فى القرن الثانى بعض شعر الجاهلية من هذه القبائل ، ومما يرويه رواة منها من شعر شعرائها . وللتدليل على ذلك نسوق مثلاً لرواية بعض أفراد القبائل لشعر شعرائها .

فها هو ذا رسول الله ﷺ حينما أراد أن يسمع بعض شعر ( أمية بن أبى الصلت ) الثقفى استنشد رجلاً من ثقيف قبيلة الشاعر ففى صحيح مسلم عن ( الشريد بن سويد ) قال : ردفت رسول الله ﷺ فقال : هل معك من شعر أمية بن أبى الصلت شىء ؟ قلت : نعم . قال : هيه ؟ فأنشدته بيتاً ، فقال : هيه ، ثم أنشدته بيتاً ، فقال : هيه حتى أنشدته مائة بيت ، فقال : ( كاد ليسلم ) وفى رواية : ( ليسلم فى شعره ) وفى رواية ( آمن شعره وكفر قلبه ) (١) . وذلك حينما استمع النبى عليه السلام إلى هذه الأبيات :

يا رب لا تجمعنى كافراً أبداً	واجعل سريرة قلبى الدهر إيماناً
واخلط به نيتى واخلط به بشرى	واللحم والدم ما عمرت إنساناً
إنى أعوذ بمن حج الحجاج له	والرافعون لدين الله أركاناً
مسلمين إليه عند حجهم	لم يبتغوا بثواب الله أثماناً (٢)

وحينما أراد ( عبد الملك بن مروان ) أن يسأل عن ( ذى الإصبع العدوانى ) ولم يسمع لمن ينشده قصيدته ( عذير الحى من عدوان ) سأل رجلاً من جديلة ، وعدوان قبيلة الشاعر بطن من جديلة فلما أجاب الرجل ( عبد الملك بن مروان ) قال له عبد الملك : ( دن منى فإنى أراك بقومك عالماً ) (٣) .

(١) خزانة البغدادى ١/ ٢٤٦ والمزهر للسيوطى ٢/ ٣٠٩ وابن سعد ٥/ ٣٧٦ .

(٢) ذاته ، ص ٢٤٩ ترجمة « أمية » رقم ١٢٠ فى خزانة البغدادى . وقد وردت هكذا : عن الرشيد ابن سويد والصواب « الشريد بن سويد » .

(٣) الأغانى ٣/ ٩١ وما بعدها بتصرف .

وقد روى ( خراش بن إسماعيل ) عم رجل من تغلب ثم من بني عتاب خبيراً عن بنت ( مهلهل ) وابنها ( عمرو بن كلثوم ) وعمرو بن كلثوم من تغلب<sup>(١)</sup> .

ويروى ابن الكلبي بعض أخبار ( حاتم الطائي ) عن أفراد قبيلته ( طيء ) قائلاً : حدثني الطائيون<sup>(٢)</sup> .

وقد دخل ( ثمامة بن الوليد ) على المنصور قال له المنصور : يا ثمامة ، أتخفظ حديث ابن عمك عروة الصعاليك ابن الورد العبسي ؟ فقال : أى حديثه يا أمير المؤمنين ؟ فقد كان كثير الحديث حسنه ، فلما ذكر له المنصور الحديث قال ثمامة : إن له عندنا أحاديث كثيرة ما سمعنا له بحديث هو أظرف من هذا<sup>(٣)</sup> .

هذا على سبيل المثال لا الحصر ، ومع ذلك فقد كان بعض أفراد القبائل يجهلون أخبار شعرائهم ، ولا غرو فمن غير المعقول أن يكون جميع أفراد القبيلة رواة ، أو جميعهم معنى ومهتم بهذا الأمر وإنما العناية والاهتمام بهذا اللون من العلم مما تغنى فيه معرفة طائفة دون أخرى .

#### رابعاً : الطبقة الرابعة وهم أبناء الشعراء :

مما تقدم يتضح لنا مدى الاهتمام البالغ ، والعناية الفائقة من أفراد القبائل وحرصهم الشديد على رواية شعر شعرائهم وإذاعته ونشره بين الناس ليضمنوا له بذلك البقاء والخلود . فإذا كان الأفراد من القبائل يعنون هذه العناية بشعر شعرائهم ويفعلون به كل ذلك للحفاظ عليه فما بالك بأبناء الشعراء وفلذات أكبادهم ؟ ومن هنا نشأت طبقة جديدة حيث رأينا الأبناء يروون للأباء ، وها هو ذا الراعى يعالّن الناس بقوله : ( من لم يرولى من أولادى هذه القصيدة وقيدنى التى أولها : بأن الأحبة بالعهد الذى عهدوا « فقد عقنى )<sup>(٤)</sup> .

(١) الأغاني ١ / ٥٢ ط دار الكتب المصرية .

(٢) الديوان ، ص ٣٠ .

(٣) الأغاني ٣ / ٨٣ وما بعدها .

(٤) خزنة البغدادى تحقيق هارون ٣ / ١٤٦ ، ١٤٧ مكتبة الخانجي ، القاهرة .

ونعنى بالقصيدة التى وصى بنه بروايتها تلك القصيدة التى مدح بها ( عبد الملك ابن مروان ) وشكا فيها من السعاة وهم الذين يأخذون الزكاة من قبل السلطان ، وهى قصيدة جيدة عدتها تسعة وثمانون بيتاً ، وفيها يقول :

عرب نرى الله فى أموالنا      حق الزكاة منزلاً تنزيلاً  
قوم على الإسلام لما يمنعوا      ماعونهم ويضيعوا التهليلاً  
إن السعادة عصوك حين بعثتهم      وأتوا دواهى لو علمت وغولا  
إن الذين أمرتهم أن يعدلوا      لم يفعلوا بما أمرت فتيلاً<sup>(١)</sup>

وقصيدته التى يستهلها بقوله : بأن الأحبة بالعهد الذى عهدوا هى فى المعنى نفسه . وهناك كثرة كاثرة من الأبناء الذين يروون للأبء ، وقد عاشوا فى الإسلام من أمثال : «ابن عبيد ابن الأبرص» و «على بن علقمة بن عبدة» و «القاسم بن أمية بن أبى الصلت» و «عبد الرحمن بن حسان بن ثابت» وابنه «سعيد بن عبد الرحمن»<sup>(٢)</sup> و «كعب بن زهير ابن أبى سلمى المزنى» وابنه «عقبة بن كعب»<sup>(٣)</sup> و «مكنف وحريث ابنا زيد الخيلى ابن مهلهل» وقد شهدا قتال الردة<sup>(٤)</sup> وإبراهيم وداود ابنا «متمم بن نويرة» وقد وفد إبراهيم بن متمم بن نويرة «على الخليفة «عبد الملك بن مروان»<sup>(٥)</sup> واستشهد شعر أبيه وأخذ العلماء الرواة بعض الشعر الجاهلى عن هؤلاء الذين رووا لأبائهم وهم بلا ريب أصدق من غيرهم وأشد حرصاً وأوثق رواية وأمانة من غيرهم بدافع الحرص على تراث آبائهم وتخليد ذكراهم ، ومن بينهم أيضاً «عبد المنان بن المتلمس» .

ويروى أن (عدى بن حاتم طى) عاش مائة وثمانين سنة ، وقد رووا عنه بعض أخبار أبيه (حاتم الطائى) وقدم (عدى) على رسول الله ﷺ فى شعبان من سنة سبع ويقول الواقدى : من ستة عشر ، ثم قدم على أبى بكر رضى الله عنه بصدقات قومه فى

(١) خزانة البغدادى تحقيق هارون ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ مكتبة الخانجى ، القاهرة .

(٢) معجم الشعراء للمرزبانى ، ص ٣٦٣ .

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينورى ١ / ٦٢ .

(٤) ذاته ، ص ٢٤٤ .

(٥) ذاته ١ / ٢٩٧ .

حرب الردة ، ومنع قومه وطائفة معهم من الردة بشبوته على الإسلام وحسن رأيه ،  
ويكنى (بأبي طريف)<sup>(١)</sup> ودخل (إبراهيم بن متمم بن نويرة) على (عبد الملك بن مروان)  
ف رأى فيه عقلاً وفضلاً ، فقال له : أنشدنا بعض مرثي أبيك وعمك فأنشده :

نعم الفوارس يوم نشبة غادروا      تحت التراب قتيلك ابن الأزور  
حتى انتهى إلى قوله

أدعوته بالله ثم قتلته      لو هو دعاك بمثلها لم يغدر<sup>(٢)</sup>  
وذكر الأصمعي أن (حماد بن ربيعة بن النمر بن تولب) قد روى :

أهيم بدعد ما حبيت فإن أمت      أوصى بدعد من يهيم بها بعدى  
علماً بأن البيت يروى أيضاً للشاعر (نصيب) ولكنه رواه لجدّه (النمر بن تولب)<sup>(٣)</sup>  
ودخل ابن أبي محجن الثقفي على (معاوية) فقال له (معاوية) أبوك الذي يقول :

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة      تروى عظامي بعد موت عروقتها  
ولا تدفني بالفلاة فإننى      أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها

فقال ابن محجن : لو شئت ذكرت أحسن من هذا من شعره ، قال وما ذاك ؟ قال :  
قوله :

لا تسألني الناس مالي وكشترته      وسألني القوم ما حزمي وما خلقي  
القوم أعلم أني من سراتهم      إذا تطيش يد الرعيديدة الفرق  
قد أركب الهول مسدولاً عساكره      وأكتم السر فيه ضربة العنق<sup>(٤)</sup>

(١) خزانة البغدادي ١ / ٢٨٦ وما بعدها ، وكتاب المعمرين لأبي حاتم السجستاني . ومغازي

رسول الله للواقدي وهو أبو عبيد الله محمد بن عمر جماعة نشر الكتب القديمة سنة ١٩٤٨ .

(٢) الموشح للمرزباني ، ص ٢٤٠ ف .

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري ١ / ٢٦٩ ط دار المعارف ، القاهرة .

(٤) ذاته ، ص ٣٣٨ .

النمر بن تولب صحابي . . بعد من المخضرمين .

ووفد على (عبد الملك بن مروان) وفد من أهل الكوفة ، فلما دخلوا عليه ،  
وكلمهم رأى فيهم رجلاً آدم طويلاً فكلمه فأعجبه بيانه ، فلما تولى تمثل (عبد الملك  
ابن مروان) بقول الشاعر عمر بن شأس :

وإن غراراً إن يكن غير واضح فإني أحب الجون ذا المنكب العمم

فالتفت الأدم إلى (عبد الملك) فضحك ، فقال : عبد الملك (علىَّ به) فلما جرى  
به ، قال : ما أضحكك ؟ قال : (أنا يا أمير المؤمنين عرار . فأقعدته وقدمه وسامره) (١) .

#### الطبقة الخامسة : رواة الشاعر :

وقد كان لبعض الشعراء رواة ، وبخاصة الفحول وكان الرواة يلازمونهم حلاً  
وترحالاً ، ثم يحفظون أشعارهم ويروونها في المجالس . وقد سار هذا الأمر في العصور  
التالية للعصر الجاهلي على غرار ما حدث في الجاهلية من أمر الرواية ، فقد كان للفرزدق  
رواة ، أحدهم من بنى ربيعة بن مالك ، وكان يروي عامة شعر الفرزدق بينما كان هناك  
رواية آخر لا يروي من شعره إلا ما كان هجاء أو نقضاً لشعر جرير وغيره من الشعراء  
وكان اسم هذا الراوية (عبيداً) وهو أحد بنى ربيعة بن حنظلة (٢) .

وكان رواية (جرير) (الحسين) ولم يقتصر الحسين على رواية شعر (جرير)  
فحسب بل كان يكتبه كتابة وروى عن العلماء بعض أخباره (٣) وكان رواية (كثير عزة)  
(السائب بن ذكوان) (٤) وكان (محمد بن سهل) رواية (للكميت بن زيد الأسدي) (٥)

(١) معجم الشعراء للمرزباني ، ص ٢١٢ .

الجون : الأبيض والأسود أيضاً فهو من الأضداد وجمعه جون . والجون بالضم جونة العطار  
وربما همز والمراد به في البيت «الأسود» ، مختار الصحاح للرازي مادة «جون» ، ص ١١٨ ،  
دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة .

(٢) الموشح ، ص ١٠٦ وما بعدها بتصرف والنقائض ص ١٠٤٩ .

(٣) ذاته ، ص ٤٣٠ .

(٤) الأغاني ٩ / ٢٢٤ والموشح ص ١٥٠ وما بعدها .

(٥) ذاته ٢ / ٤٥٢ والموشح ص ١٩٣ وما بعدها .

وكذلك كان للشاعر (الأحوص بن محمد الأنصاري) روايته<sup>(١)</sup> ولذى الرمة (غيلان ابن عقبة أحد بنى عدى بن عبد مناة بن أون روايته . ويقال إن ذا الرمة راوية راعى الإبل)<sup>(٢)</sup> .

وربما اجتمع هؤلاء الشعراء وتناشد كل راوية شعر صاحبه متفاخرين ، وذلك كما حدث حين اجتمع بالمدينة راوية (جرير) وراوية (الأحوص) وادعى كل رجل منهم أن صاحبه أشعر<sup>(٣)</sup> .

مما سبق يتضح لنا أن الرواة لم يكونوا يقفون عند حد الرواية فحسب بل كان الراوية يتعصب للشاعر الذى يروى له ، وذلك دليل على أن الراوية معجب بشعره متذوق وفاهم لما يرويه ، كما أنه فاهم ومتذوق وناقد لأشعار الآخرين أيضاً فهو يستحسن شعر شاعر ، ويستقبح شعر آخرين .

من ذلك نعلم أن الرواية ظلت موصولة بالعصر الجاهلى ومن رواة الشعراء الجاهليين (عبيد) وكان راوية للأعشى وكان عالماً بالإبل ، يقول الأعشى فى ذكر الناقة :

لم تعطف على حوار ولم يق ——— طع عبيد عروقها من خمال<sup>(٤)</sup>

وقد روى (عبيد) خبر قدوم (الأعشى) على النعمان وإنشاده بين يديه بعض شعره<sup>(٥)</sup> وكان للأعشى راوية آخر وهو (يونس بن متى) وقيل (يحيى بن متى)<sup>(٦)</sup> وذهب بعض العلماء إلى أن الأعشى لم يكن له إلا راو واحد ، بيد أن المصادر مختلفة فى اسمه حيث إن بعض الباحثين قد توهم أن رواة شعر الأعشى أكثر من واحد ، وذهب

(١) الأغاني ٤ / ٢٤١ وما بعدها .

(٢) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحى ، ص ٢٥٧ المطبعة المحمودية بالقاهرة . والموشح ص ١٨٤ .

(٣) الموشح ، ص ١٥٩ .

(٤) الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينورى ١ / ٢١٦ الحوار : ولد الناقة ، الخمال : داء يصيب القوائم .

(٥) ذاته ، ص ٢١٥ بتصرف .

(٦) خزنة البغدادى ٤ / ١٩٧ « السلفية » ، والأغاني ٩ / ١٢ ، والأغاني ٢١ / ١٢٦ .

الأستاذ (شاكراً) في تحقيقه لكتاب (الشعر والشعراء) إلى أن (الجواليقي) أخطأ في اسم راوية الأعشى حينما ذكر أنه (يونس بن متى) (١).

ويعلل الدكتور (ناصر الدين الأسد) سر وسبب الاختلاف بقوله : لقد كان هذا الراوية عبادياً من نصارى الحيرة فالغالب على ظننا أن يكون اسمه في أصله (يوهانس) أو (يوجانس) ثم مر هذا الاسم عند العرب في طورين :  
الأول : الترجمة ، والثاني : التعريب .

ففي الطور الأول ترجموا معنى اسمه الذى يدل على العبودية للخالق فجعلوه في العربية (عبيداً) وأما طور التعريب فقد مر أيضاً في مرحلتين ، الأولى : مرحلة حرفية لا تتغير عن الأصل كثيراً فعربوا (يوهانس) وجعلوه (يونس) .

وأما المرحلة الثانية : فقد كانت مرحلة غير مباشرة ، وذلك أن (يوحنا) هو طور من أطوار هذا الاسم (يوحانس) فجاء العرب فعربوا (يوحنا) وجعلوه (يحيى) ثم يستتج بعد هذا التطواف مع الاسم والاحتمالات التى رجح أن يكون الاسم قد مر بها والأطوار التى طرأت عليه أن الأسماء الثلاثة لاسم واحد ولراوية واحد .

ونحن إلى هذا الرأى وذلك الاستنباط نميل ، وبخاصة أن بعض المصادر أوردت أن اسمه (يحيى بن متى) وبعضها يقول : (يونس بن متى) فالاشتراك فى الاسم الثانى دليل حاسم على صدق ما ذهب إليه المحقق الأستاذ أحمد محمد شاكر وهو أن الجواليقي أخطأ فى اسم راوية الأعشى حينما ذكر أنه (يونس بن متى) (٢) .

والحقيقة أن الأسماء الثلاثة المذكورة المختلفة فى ظاهرها ليست إلا اسماً واحداً فى حقيقتها يدل على راوية واحد بعينه والحقيقة التى لا مرأى فيها أن الأسماء الثلاثة لمسمى واحد وراوية بعينه .

---

(١) الشعر والشعراء ، ص ٢١٦ هامش .

(٢) الشعر والشعراء الدينورى ، ص ٢١٦ هامش رقم «١» ومصادر الشعر الجاهلى د/ ناصر الدين الأسد ، ص ٢٣٩ وما بعدها .

## الرواة المشاهير:

تحدثنا فيما سبق عن الرواة وطبقاتهم ، وقبل أن نشرع في الحديث عن أشهرهم نود أن نوميء إلى أن هناك رواة مصلحين للشعر ، ورواة وضاعين له ، ورواة علماء ولم نشأ أن نجعلهم طبقات لأنهم في رأينا داخلون ضمن الرواة الذين أومأنا إليهم آنفاً حيث إنه لم يكن هناك راوية قد تخصص في إصلاح الشعر ، بل قد يكون من الشعراء الرواة ، أو من رواة القبيلة ، أو من رواة الشاعر ، أو من الرواة العلماء ، أو الوضاعين ، فإن الوضاعين أيضاً علماء ولو لم يكونوا علماء ما استطاعوا وضع الأشعار ونسبتها إلى الشعراء مدعين أنها جاءت على ألسنتهم .

أما المصلحون للشعر فقد كان منهم رواة في القرن الأول يصلحون بعض الشعر الأموى فقد دخل رجل من هذيل وهو حال الفرزدق على رواة الفرزدق فوجدهم يعدلون ما انحرف من شعره ولما جاء راوية (جرير) وجدهم أيضاً يقومون ما انحرف من شعره وما فيه من السناد . وقد خطأ الرواة الشاعر (ذو الرمة) في قوله :

قلانص ما تنفك إلا مناحة      على الخسف أو نرمي بها بلدأ قصرأ<sup>(١)</sup>

ولذلك غيرهه فجعلوه (ألا مناحة) وقالوا : إنما قاله (ذو الرمة) على هذا ، وكان إسحاق الموصلي ينشده (ألا) ويقول نحتال لصوابه<sup>(٢)</sup> .

وقال الأصمعي<sup>(٣)</sup> : قرأت على خلف شعر (جرير) فلما بلغت قوله :

فيا لك يوماً خيره قبل شره      تغيب واشيه وأقصر عادله

فقال (خلف) ويله ، وما ينفعه خير يؤول إلى شر؟ فقال الأصمعي له : هكذا قرأته على أبي عمرو ، فقال : صدقت وكذا قال جرير وكان قليل التنقيح مشرد الألفاظ ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع ، فقال الأصمعي فكيف كان يجب أن يقول ؟

(١) الأغاني ج٤ ، ص ٢٥٨ .

(٢) الموشح للمرزباني ، ص ١٨٤ .

(٣) ذاته ، ص ١٢٥ ، العمدة لابن رشيق القيرواني ٢ / ١٩٢ ، ١٩٣ .

قال : الأجدود له لو قال : ( فيا لك يوماً خيره دون شره ) فاروه هكذا ، فقد كانت الرواة قديماً تصلح من أشعار القدماء ، فقال له الأصمعي : ( والله لا أرويه بعد إلا بكذا ) فخلف يعلم أن الرواة كانوا قديماً يصلحون من أشعار القدماء ولديه مسوغ للإصلاح ، وهو إذا كان الشاعر قليل التنقيح مشرد الألفاظ أما إذا كان الشاعر يتقح شعره ويشذبه ، ويتروى فيه ويهذبه فلا يجد الراوية ثغرة ينفذ منها إلى إصلاح شعره كزهير بن أبي سلمى المزني ومن كان على شاكلته من المتقحين ، وأصحاب الحوليات . وأما الرواة الوضاعون الذين اشتهروا بوضع الشعر ونحله فقد وجدوا سبيلاً إلى ذلك وبخاصة في القصص وأحاديث السمر ، وقد كان خلفاء بني أمية وبني مروان وخاصة ( معاوية وعبد الملك ) يعقدون مجالس خاصة للسمر والقصص ، وقد كان معاوية يسمر إلى ثلث الليل في أخبار العرب وأيامها ، وأنه كان له غلمان مرتبون يقرأون عليه الأخبار والسير والآثار من دفاتر وكلوا بحفظها وقراءتها<sup>(١)</sup> .

وكان من محدثي ( معاوية ) وسماره ( النخازين أوس ) يقول الجاحظ : وقال إسحاق ابن عيسى لداود بن جعفر : بلغني أن معاوية قال للنخار بن أوس أبغني محدثاً<sup>(٢)</sup> ، وقال : ومنى أمير المؤمنين تريد محدثاً ؟

قال : نعم ، أستريح منك إليه ، ومنه إليك ، وأنا لا أستريح إلى غير حديثك ، ولا يكون صمتك في حال من الحالات أوفق لي من كلامك فمعاوية يطلب من محدثه الذي يسمر معه محدثاً آخر معه غير مكثف بمحدث واحد وهو ( النخار بن أوس )<sup>(٣)</sup> .

فذلك القصص وأحاديث السمر وتعدد المحدثين والسمار كان أوسع باب دخل منه الرواة الوضاعون لممارسة هوايتهم في الوضع والنحل ، ولما رأى ( عمرو بن العاص ) رضى الله عنه شغف معاوية بالمسامرة ، وأحاديث من مضى أشار عليه باستدعاء ( عبيد بن شربة الجرهمي ) من الرقة ، وقال له إن عبيداً من بقايا من مضى ، وأنه أدرك ملوك الجاهلية ، وأنه أعلم من بقى آنذاك في أحاديث العرب وأنسائها ، وأوصفهم لما مر عليه

(١) مروج الذهب للمسعودي ٢ / ٥٢ .

(٢) هو إسحاق بن عيسى ابن أبي جعفر المنصور . أبغني محدثاً : أطلبه لي .

(٣) البيان والتبيين للجاحظ ١ / ٢٣٣ ، ت هارون ، الخانجي ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

من تصاريف الدهر ، فاستدعاه ( معاوية ) فصار ( عبيد ) فى وقت السمر سميير معاوية فى خاصته من أهل بيته ، ثم أمر معاوية أهل ديوانه وكتابه أن يوقعوا هذه المجالس وأحاديثها ويدونوها فى الكتب (١) .

ولم يكن ذلك الأمر وفقاً على الأمويين فحسب بل شاع ذلك لدى جمهور العامة وانتشر القصاص فى المساجد يميزجون الوعظ بذلك القصص للعبرة والتسلية ، ويبدو أن القصص بدأ فى عهد مبكر ، حيث إن أول قاص هو ( الأسود بن سريع التميمي ) وكان من الصحابة ، وهو الذى يقول فى الميت :

فإن تنج منها تنج من ذى عزيمة وإلا فإني لا أخالك ناجياً (٢)

وقص الحسن وسعيد ابنا أبى الحسن ، وكان جعفر بن الحسن أول من اتخذ فى مسجد البصرة حلقة وأقرأ القرآن فى مسجد البصرة وقص إبراهيم التميمي وقص عبيد ابن عمر الليثي ، وجلس إليه ( عبد الله بن عمر ) ومن القصاص ( أبو بكر الهذلي ) وهو عبد الله بن سلمى ، وكان بيناً خطيباً صاحب أخبار وآثار ، ومن القصاص ( مسلم ابن جندب ) وكان قاص مسجد النبي ﷺ وفيه يقول ( عمر بن عبد العزيز ) من سره أن يسمع القرآن غضاً فليسمع قراءة مسلم بن جندب (٣) ، وكان ( أبو على الأسوارى ) يقص فى مسجد ( موسى بن سيار ) ستاً وثلاثين سنة ، فابتدأ لهم فى تفسير سورة البقرة فما ختم القرآن حتى مات لأنه كان حافظاً للسير ، ولوجوه التأويلات فكان ربما فسر آية واحدة فى عدة أسابيع كأن الآية ذكر فيها يوم بدر ، وكان هو يحفظ مما يجوز أن يلحق فى ذلك من الأحاديث كثيراً ، وكان يقص فى فنون من القصص ويجعل للقرآن نصيباً من ذلك (٤) .

(١) أخبار عبيد بن شرية ، ص ٣١٢ ، ٣١٣ ومصادر الشعر الجاهلى ، ص ٢٤٥ .

(٢) البيان والتبيين للجاحظ / ١ / ٣٦٧ تحقيق هارون ١٩٨٦ .

(٣) البيان والتبيين للجاحظ / ١ / ٣٦٧ وما بعدها .

(٤) ذاته ، ص ٣٦٨ وما بعدها .

وكان (يونس بن حبيب) يسمع منه كلام العرب ، ويحتج به ، ثم قص من بعده (القاسم بن يحيى) وهو (أبو العباس الضرير) لم يدرك فى القصص مثله ، ثم (مالك ابن عبد الحميد المكفوف) فأما (صالح المرى) فكان يكنى أبا بشر وكان صحيح الكلام رقيق المجلس (١) .

وقد كان القصص يتمثلون فى وعظه ويستشهدون على قصصهم بشعر جاهلى . يقول الجاحظ (وكان صالح المرى) القاص العابد البليغ كثيراً ما ينشد فى قصصه وفى مواعظه هذا البيت :

فبات يدوى أصول الغسيل      فعاش الغسيل ومات الرجل

وأشد الحسن فى مجلسه ، وفى قصصه ومواعظه :

ليس من مات فاستراح بميت      إنما الميت ميت الأحياء (٢)

وخطب (عبد الله بن الحسن) على منبر البصرة فى العيد وأنشد فى خطبته :

أين الملوك التى عن حظها غفلت      حتى سقاها بكأس الموت ساقبها  
تلك المدائن بالأفاق خالية      أمسّت خلاء وذاق الموت بانيتها

وكان (مالك بن دينار) يقول فى قصصه (ما أشد فطام الكبير) وهو كما قال القائل :

وتروض عرسك بعد ما هرمت      ومن العناء رياضة الهرم (٣)

وإن الأخبار التى ساقها (عبيد بن شرية) فى مجلس معاوية وسمره فيها كثير من أشعار الجاهليين بعضها صحيح ومنسوب إلى شعراء معروفين كحسان بن ثابت ، وأمّية ابن أبى الصلت ، وعبيد بن الأبرص ، والنابغة الذبياني ، وبعضه الآخر منحول وموضوع ولا مرأى فى أنه موضوع حيث إنه نسب إلى (يعرب بن قحطان) وإلى ثمود

(١) البيان والتبيين للجاحظ ، ص ٣٦٩ .

(٢) ذاته ، ص ١١٩ .

(٣) ذاته ، ص ١٢٠ .

وأخيه جديس ومثل الشعر الذي قيل في وفد (عاد) إلى مكة حيثما ذهبوا يستسقون ، ومن الغريب والعجيب أن هذه الأشعار مبثوثة في كتب التواريخ والسير والمغازي وقد نبه الرواة العلماء إلى هذا الزيف ، وتلك الترهات كالذي نجده في كتاب السيرة لابن إسحاق ، وإن جاء بعضه صحيحاً ثابتاً لدى العلماء الرواة بعد أن كان جل ما ورد فيه منحول وكيف يكون بعدا وثمود شعر الله عز وجل يقول : ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ \* وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ ﴾ (١) وقال - سبحانه- في عاد : ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ (٣) وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِّن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِّن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (٤) ؟ وترى ابن النديم يتتقد ابن إسحاق فيقول : « كان يعمل له الأشعار ويؤتى بها ويسأل أن يدخلها في كتابه السيرة فيفعل فضمن كتابه من الأشعار ما صار به فضيحة عند رواة الشعر » (٥) وكذلك فعل (الواقدي) في كتابه مغازي رسول الله ﷺ فقد أدخل فيها بعض الشعر الموضوع ، وإن كان نبه على وضعه في مواطن من كتابه . وهناك موضوع آخر بخلاف القصص وأحاديث السمار ألا وهو (الأنساب) فالنسب لدى العربي له خطره وشأنه ولذلك كان يحرص عليه حرصه على حياته بل أشد ، وكان بعض الرواة يتزلفون السلاطين ، ويتقربون إلى ذوى المال والجاه والسلطان والنفوذ ، وذلك بوضع شعر منحول يحمل إشارات إلى نسبهم ، ومن ذلك أن (قضاة) من (معد) بيد أنها انتسبت إلى (حمير) وزوروا في ذلك شعراً فقالوا :

يا أيها الداعى ادعنا وأبشر      وكن قضاعيًا ولا تنزر  
قضاة بن مالك بن حمير      النسب المعروف غير المنكر (٦)

(١) سورة النجم ، الآيتان ٥٠ ، ٥١ .

(٢) سورة الحاقة ، الآية ٨ .

(٣) سورة الأنعام ، الآية ٤٥ .

(٤) سورة إبراهيم ، الآية ٩ .

(٥) الفهرست لابن النديم ، ص ١٣٦ .

(٦) نسب قريش لأبي عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري ، تحقيق بروفنسال ط دار

المعارف بمصر ، ص ٥ .

كما أن هناك موضوعاً آخر يرتبط بسابقه ارتباطاً وثيقاً وهو أخبار أيام العرب في الجاهلية . ومن أمثلة وضع الشعر في هذا الموضوع ونحله للشعراء الجاهليين ليكون سنداً وتكأة للخبر الذي يساق ما أورده أبو عبيدة في حديث البراجم . حيث يقول : « قال عوف بن عطية التيمي يعير لقيطاً بن زرارة » أسر بنى عامر معبد بن زرارة وفرار لقيط عنه :

هلا فوارس وحرهان هجوتم      عشراً متاوح فى سرارة واد  
تأكل الإبل الفرات نباته      ما إن يقوم عماده بعماد  
هلا كررت على بن أمك معبد      والعامرى بقوده بصفاد<sup>(١)</sup>  
وذكرت من لبن المحلق شربة      والخيل تعدو فى الصعيد

قال أبو عبدة وبقيه هذه القصيدة مصنوعة . وقال أيضاً : « فى يوم النصار »  
وأشددونى فى تصداق ذلك أن الأسود كان رئيس الرباب يوم النصار قول : عوف  
ابن عطية بن الخرع التيمى :

ما زال حينكم ونقص حلومكم      حتى بلوتم كيف وقع الأسود  
وقبائل الأحلاف وسط بيوتكم      يعلنون هامكم بكل مهند

قال بنو أسد وغطفان : « وهذه مصنوعة ، لم يشهد الأسود النصار »<sup>(٢)</sup> .

أما الرواة العلماء فهم طبقة متميزة عن الطبقات التى أو مانا إليها آنفاً ، وإن كان بعض رواة الشعر علماء ، وبعض الشعراء الرواة علماء ، وبعض الرواة المصلحين للشعر علماء ، وبعض الرواة الوضاعين أيضاً علماء بيد أن هذه الطبقة تفردت وتميزت بلون خاص ، وهو : أن هذه الطبقة اتخذت من الشعر موضوعاً علمياً تدرسه دراسة ، وتأخذه عن شيخ أو أستاذ فى مدرسة من مدارس علم الشعر وروايته آنذاك والمقصود بالمدارس تلك الحلقات والمجالس التى كانت تعقد فى المساجد أو منازل الشيوخ ويجمع فيها التلاميذ من العلماء والمتعلمين يتحلقون حول شيخ شهد له بالحفظ والرواية ومعرفة كلام العرب والإحاطة الواسعة بشعرهم .

(١) النقائص ، ص ٣٢٨ .

(٢) النقائص ، ص ٢٤٠ لأبى عبيدة معمر بن المثنى تحقيق بيفان سنة ١٩٠٥ م والنقائص أيضاً طبع

الصاوى سنة ١٩٣٥ م .

وكانت وسيلة الدرس تقوم على قراءة ديوان الشاعر ، أو ديوان القبيلة ، والتلاميذ يتابعون القراءة في نسخ بين أيديهم ، أو يستمعون لمن يقرأ ولما يلقيه الشيخ من تصحيح للأخطاء ، أو ذكر لوجوه الروايات ، أو تفسير لغريب الألفاظ ، أو شرح للمعنى العام مع ذكر الأخبار والأحداث التاريخية ، وقد يضاف إلى ذلك الرحلة إلى البادية أو الاستماع إلى وفد منها من الأعراب ويبدو أن هذه الطبقة من الرواة العلماء لم تكن موجودة قبل مطلع القرن الثاني الهجري (١) .

### أشهر هؤلاء الرواة :

ومن أشهر هؤلاء الرواة الذين أومأنا إليهم آنفاً هم :

أولاً : أبو عمرو بن العلاء : وهو رأس وزعيم رواة البصرة (٧٠ - ١٥٤ هـ) وهو من أعلام المدرسة النحوية ، وأحد القراء السبعة . يقول فيه ابن سلام : ( وكان أبو عمرو أوسع علماً بكلام العرب ولغاتها ) (٢) .

وكان رواية ثبثاً أميناً وقد دفعه إلى ذلك صلاحه وورعه وتقواه وكيف لا ؟ وهو أحد القراء السبعة للقرآن الكريم ، وكان أيضاً أعلم الناس بالغريب والعربية والقرآن والشعر مما أدى إلى اكتساب البصرة سمعة طيبة ، وثقة في صحة الرواية وأمانتها .

يقول ابن سلام : ( لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله كله في شيء واحد كان ينبغي لقول أبي عمرو بن العلاء في العربية أن يؤخذ كله ، ولكن ليس أحد إلا وأنت آخذ من قوله وتارك ) (٣) .

ثانياً : حماد الراوية : (٩٥ - ١٥٦ وقيل ١٦٤ هـ) وهو زعيم مدرسة الكوفة ، وكان من الموالى كما كان شاعراً مجيداً عالماً بكلام العرب بيد أنه كان فاسقاً زنديقاً ، فاسد المروءة ماجناً ، كما كان موهوباً ذا قريحة صافية وعقل راجح ، فراح يدس على الشعراء

(١) مصادر الشعر الجاهلي د/ ناصر الدين ، ص ٢٥١ ، ٢٥٢ .

(٢) طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي ، ص ١٠ المطبعة المحمودية بالقاهرة .

(٣) ذاته ، ص ١١ .

الجاهليين ، ونسب إليهم الشعر مستغلاً موهبته ورجاحة عقله وعلمه بكلام العرب ، ومذاهب الشعراء يقول ابن سلام الجمحي : « وكان أول من جمع أشعار العرب ، وساق أحاديثها حماد الراوية »<sup>(١)</sup> وكان غير موثوق به ، كان ينحل شعر الرجل غيره ويزيد في الأشعار ، يقول يونس : « قدم حماد البصرة على بلال ابن أبي بردة » فقال : « ما أظفرتني شيئاً فعاد إليه فأشده القصيدة التي في شعر الحطيئة مديح أبي موسى فقال ويحك ، يمدح الحطيئة أبا موسى ولا أعلم به وأنا أروى للحطيئة ، ولكن دعها تذهب في الناس »<sup>(٢)</sup> وهذا دليل على أنه كان ينحل شعر الرجل غيره ، فقد أنكر مدحه الحطيئة لأبي موسى حيث إنه راويته ومع ذلك نراه يقول : « دعها تذهب في الناس » دون تحقيق لها أو التأكد من قائلها ونسبتها إليه .

ومن هنا أيضاً قالوا<sup>(٣)</sup> : ( كان خلف الأحمر أول من أحدث السماع بالبصرة ) ، ذلك أنه جاء إلى حماد الراوية فسمع منه وكان ضنيناً بأدبه ، وقد أخذ عن هذين العالمين «أبي عمرو وحماد» سائر من نعرف من شيوخ العلم والرواية ، من أمثال : خلف الأحمر ، والمفضل الضبي ، والأصمعي وأبي عبيدة وأبي عمرو الشيباني ، وأخذ عن هؤلاء من جاء بعدهم كابن الأعرابي و ( محمد بن حبيب ) وأبي حاتم السجستاني ثم أخذ عن هؤلاء : السكري وثعلب وأضرابهما .

ويروى عن ( الهيثم بن عدي ) أنه كان يقول ( ما رأيت رجلاً أعلم بكلام العرب من حماد )<sup>(٤)</sup> ويروى أن الوليد بن يزيد سأله قائلاً : بم استحققت هذا اللقب فقيل لك الراوية ؟ فقال ( حماد ) بأنى أروى لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين ، أو سمعت به ، ثم أروى لأكثر منهم ممن أنت لم تعرفه ولم تسمع به ، ثم لا أنشد شعراً قديماً ولا محدثاً إلا ميزت القديم منه من المحدث ، فقال الوليد : إن هذا العلم وأبيك كثير فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثيراً ، ولكنى أنشدك على كل حرف من حروف المعجم

(١) طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي ، ص ٢٣ المطبعة المحمودية بالقاهرة .

(٢) ذاته ، ص ٢٣ .

(٣) نزهة الألباء لابن الأنباري ، ص ٣٧ .

(٤) معجم الأدباء ١٠ / ٦٦٥ .

مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام ، قال :  
سأمتحنك فى هذا . وأمره بالإنشاد ، فأنشد الوليد حتى ضجر ثم وكل به من استحلّفه  
أن يصدقه عنه ، ويستوفى عليه فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهليين ، وأخبر الوليد  
بذلك فأمر له بمائة ألف درهم<sup>(١)</sup> .

ونحن نرجح أن هذه الرواية مبالغ فيها ، فلو فرضنا جدلاً أنه يعى ويحفظ هذا  
الكم الهائل من القصائد الجاهلية وغيرها فمن غير المعقول أن يجد قوة على إنشاده وأين  
السامع الذى يقوى على استماع ذلك الكم دون أن يصاب بالسأم والملل أو حتى  
الانصراف بذهنه عن متابعة الرواية فى الإنشاد ؟ بيد أننا نستطيع معالنة الباحثين بأن ذلك  
دليل فحسب على كثرة حفظه لأشعار العرب الجاهليين وتمرسه بالرواية ، ومعرفته  
الواسعة لأخبارهم مما أكد شهرته وذيوع صيته ، ومن سوء حظ الكوفة أن كان هذا  
الرواية البارع فاسد المروءة فاسقاً ماجناً زنديقاً<sup>(٢)</sup> .

وكان شاعراً يحسن صوغ الشعر وحوكه<sup>(٣)</sup> . ( فكان ينظم على ألسنة الجاهليين ما  
لم ينطقوا به ، وكثر منه ذلك حتى عرف به واشتهر ) . يقول الأصمعى : ( جالسته فلم  
أجد عنده ثلاثمائة حرف ولم أرض روايته ) .

ويقال : إنه مدح ( بلال بن أبى بردة ) بقصيدته ، وكان ذو الرمة حاضراً فقال له :  
إنها ليست لك فسرعان ما اعترف بأنها جاهلية<sup>(٤)</sup> . وربما دافع بعض العلماء عن حماد  
محتجين بأن ذلك جاء نتيجة المنافسة بين المدرستين ، البصرية والكوفية . ونحن نرد  
على هؤلاء بقولنا إن حماداً كان فاسد المروءة سيئ الخلق ؛ زنديقاً ماجناً فاسقاً غير أمين  
فى روايته ، أما روح التنافس فإنها تدعو إلى التجويد والأمانة والدقة ، هذا إن كان الأمر  
مختصاً بالكم .

(١) معجم الأدباء لياقوت ١٠ / ٢٥٩ وتاريخ آداب العرب للرافعى ج ١ ط لبنان ، بيروت .  
والأغاني ٦ / ٧١ .

(٢) الحيوان للجاحظ ٤ / ٤٤٧ والأغاني ٦ / ٧٤ وأمالى المرتضى ١ / ١٣١ ولسان الميزان لابن حجر  
العسقلانى ٢ / ٣٥٣ .

(٣) الزهر للسيوطى ٢ / ٤٥٦ .

(٤) الأغاني ٦ / ٨٨ .

أما إن كان المقصود بقولهم : إن اتهامه جاء نتيجة التنافس بين المدرستين ، أى إن ذلك افتراء عليه فنقول : إن اتهام (حماد) بالدس على الشعراء لم يكن من جهة واحدة ، بل كان من جهتين ؛ أعنى كانت التهمة بالدس والنحل والتزوير موجهة إليه من المدرستين ، البصرية ، والكوفية ، فلو أننا فرضنا جدلاً أن التهمة واردة من المدرسة البصرية ، فكيف تتهمه المدرسة الكوفية وهو إمام روايتها وزعيم مدرستها !!؟

إن اتهام المدرسة الكوفية له أكبر دليل على أنه غير أمين فى روايته . ومن هنا يمكن أن يتسرب الشك فيمن أخذوا عنه ، ورووا بعده من تلاميذه مثل (ابن كنانة) و(خلف الأحمر) راوية البصرة الشهير إذ كان قد أكثر الأخذ عنه<sup>(١)</sup> .

ويروى أنه كان يعطى حماد المنحول فيقبله منه يورويه<sup>(٢)</sup> ، ومن رواة الكوفة الذين عاصروا (حماداً) واشتهروا بالوضع (برزخ العروضى) وكان من أكذب الناس فى الرواية<sup>(٣)</sup> . ومثل (العروضى) (جناد) حيث كان يخلط فى الأشعار ويصحف ، وكان يلحن كثيراً<sup>(٤)</sup> .

**ثالثاً : خلف الأحمر :** وهو من رواة البصرة المعروفين ولم يكن يقل عن (حماد) فى معرفته بأشعار العرب وأخبارها بل لعله يتقدمه حيث كان شاعراً مبرزاً ، وكان بصيراً بالشعر ، وأصل أبويه من (فرغانة) فهو من الموالى . ولد فى سنة (١١٥هـ) وتوفى حوالى سنة (١٨٠هـ) وقد شهد له ابن سلام الجمحى فقال : (أجمع أصحابنا أنه كان أفرس الناس ببيت الشعر ، وأصدقهم لساناً ، كنا لا نبالى إذا أخذنا عنه خبراً أو أنشدنا شعراً ألا نسمعه من صاحبه)<sup>(٥)</sup> .

(١) مراتب النحويين ، ص ٤٧ وما بعدها .

(٢) الأغاني ٦ / ٩٢ .

(٣) إنباء الرواة على أنباء النحاة للقفطى ١ / ٢٤٢ ، والفهرست لابن النديم ص ١٥٧ .

(٤) ذاته ، ص ١٠٤ .

(٥) طبقات ابن سلام ، ص ١٥ المطبعة المحمودية بمصر ، خلف بن حيان أبو محرز الأحمر .

بيد أن شهادة ابن سلام لا تعفيه من توجيه أصابع الاتهام إليه ، حيث إنه شهد على نفسه ، فكان يعطى ( حماداً ) المنحول من الشعر ويقبله حماد ، والاعتراف سيد الأدلة كما يقولون ويقال : إنه هو الذى وضع اللامية المنسوبة إلى ( الشنفرى )<sup>(١)</sup> .

أقيموا بنى أمى صدور مصكم فإنى إلى قوم سواكم لأميل

كما أنه وضع لامية أخرى منسوبة إلى الشاعر الصعلوك ( تأبط شرأ ) وقيل إنها منسوبة إلى ابن أخته :

إن بالشعب الذى دون سلع لقتيلا دمه ما بطل<sup>(٢)</sup>

ويروى البيت برواية أخرى وهى :

إن بالشعب إلى جنب سلع لقتيلا دمه ما يطل

وقد تصدى له الأصمعى مراراً بتهمة الوضع والنحل فقال : « إنه وضع على شعراء عبد القيس شعراً موضوعاً كثيراً وعلى غيرهم عبثاً بهم ، فأخذ ذلك عنه أهل البصرة وأهل الكوفة »<sup>(٣)</sup> .

ثم تقرأ ونسك فكان يختم القرآن الكريم فى كل يوم وليلة ، فخرج على أهل الكوفة فعرفهم الأشعار التى قد أدخلها فى أشعار الناس ، فقالوا له : ( أنت كنت عندنا فى ذلك الوقت أو ثق منك الساعة ) فبقى ذلك فى دواوينهم إلى اليوم<sup>(٤)</sup> .

ومن الرواة الوضاعين : ( برزخ العروضى ) و ( جناد ) و ( محمد بن السائب الكلبى ) ويكنى ( أبو النصر ) من علماء الكوفة بالتفسير والأخبار وأيام الناس ، ويتقدم الناس بالعلم والأنساب<sup>(٥)</sup> وابنه ( هشام ) الكلبى عالم بالنسب وأخبار العرب وأيامها ،

(١) الأمالى ١ / ١٥٦ ومعجم الأدباء ١٠ / ٢٦٥ .

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ٦ / ١٥٧ والحيوان للجاحظ ١ / ١٨٢ ومصادر الشعر الجاهلى للدكتور ناصر الدين الأسد ٢٥٨٢ ، والعصر الجاهلى د/ شوقى ضيف ، ص ١٥٤ ، والحماسة لأبى تمام ١ / ٣٤٨ .

(٣) مراتب النحويين ٤٧ .

(٤) ذاته بتصرف .

(٥) الفهرست لابن النديم ١٠٧ تحقيق رضا شخندم .

ومثالبها ووقائعها أخذ عن أبيه وعن جماعة من الرواة ، وتوفي هشام سنة ست ومائتين<sup>(١)</sup> .

ومن الرواة الثقات : (الأصمعي) ١٢٣ - ٢١٥ هـ بالبصرة وهو يقوم بالبصرة مقام (المفضل الضبي) بالكوفة ، وقد أشاد به معاصروه ، ومن تلاهم بسعة علمه بالجاهلية وأخبارها وأشعارها ، ووثقوه وعدلوه ولكن ذلك لم يمنع النيل منه ، بيد أن نيلهم منه مردود ، فقد كان حجة ثبثاً ، كما كان ثقة وأميناً في الرواية ، وفيه يقول ابن جنى :

وهذا الأصمعي هو صناجة الرواة والنقلة ، وإليه محط الأعباء والثقل ، كانت مشيخة القراء وأمائلهم تحضره وهو حدث لأخذ قراءة (نافع) عنه ، ومعلوم قد وما حذف من اللغة فلم يثبت لأنه لم يقو عنده إذا لم يسمعه وأما إسقاط من لا علم له ، وقول من لا مسكة به ، إن الأصمعي كان يزيد في كلام العرب ويفعل كذا ويقول كذا فكلام معفو عليه غير معبوء به<sup>(٢)</sup> .

ويقول أبو الطيب اللغوى :

فأما ما يحكيه العوام وسقاط الناس من نوادر الأعراب ويقولونه فى : « هذا مما فعله الأصمعي » ، وأن يكون الأصمعي كما زعموا وهو كما يقول أبو الطيب اللغوى : « لا يفتى إلا فيما أجمع عليه العلماء ، ويقف عما ينفردون به عنه ولا يجوز إلا أفصح اللغات ، ويلج فى رفع ما سواه »<sup>(٣)</sup> .

وله « الأصمعيات » المنسوبة إلى اسمه ، وهى مثل (المفضليات) للضبي ثقة ودقة ، كما رويت عنه الدواوين الستة وهى لامرئ القيس ، والنابغة وزهير بن أبى سلمى المزنى ، وطرفة ابن العبد البكرى ، وعنترة بن شداد العبسى ، وعلقمة بن عبدة الفحل ، وقد عاصره عالمان كبيران هما : (أبو زيد) و (أبو عبيدة) وكان أبو زيد يعنى بجمع

(١) الفهرست لابن النديم ، ص ١٠٨ .

(٢) الخصائص لابن جنى ٣ / ٣١١ .

(٣) مراتب النحويين لأبو الطيب اللغوى ص ٤٩ .

اللهجات واللغات الشاذة ، وهو عربى أنصارى خزرجى ، أما أبو عبيدة معمر بن المثني فكان من الموالي وكانت فيه نزعة شعوبية صارخة ولكن الرواة وثقوه<sup>(١)</sup> .

ويقول الدكتور ( شوقى ضيف ) وينبغى أن لا تتبعهم فى توثيقه وإن تقدم عليه الأصمعى وأبازيد وكان يهتم بالأنساب والأيام وشرح نقائض جرير والفرزدق<sup>(٢)</sup> .

ومن الرواة الثقات أيضاً ( المفضل بن محمد الضبى المتوفى سنة ١٧٠هـ ) وهو من رواة الكوفة ، وكان عالماً بشعر الجاهلية ثبّتاً دقيقاً ، ويجمع رواة البصرة والكوفة على توثيقه ، وهو صاحب ( المفضليات ) الشهيرة المعروفة والمنسوبة إليه .

ومنهم أيضاً ( أبو زيد الأنصارى ) المتوفى سنة ( ٢١٥هـ ) وله كتاب ( الجمهرة ) و ( أبو عبيدة البصرى ) وله كتاب ( النقائض ) وإعجاز القرآن وتوفى سنة ( ٢٠٩هـ ) وأبو عمرو الشيبانى المتوفى سنة ( ٢١٣هـ ) وابن الأعرابى المتوفى سنة ( ٢٣١هـ ) الكوفيان ، وكان وراءهما كثير من الرواة فى بلدتهم مثل ( محمد بن حبيب ) و ( ابن السكيت ) المتوفى سنة ( ٢٤٤هـ ) و ( ثعلب ) المتوفى سنة ٢٩١هـ .

وانتهت الرواية فى البصرة إلى أبى سعيد الحسن بن الحسين السكرى المتوفى سنة ٢٧٥هـ ، وإليه يرجع الفضل فى جمع كثير من الدواوين الجاهلية ، وهو يجمع بين الروايتين البصرية والكوفية<sup>(٣)</sup> .

### تعقيب :

مما تقدم يستين لنا بجلاء ووضوح تامين أن رواية الشعر الجاهلى أحيطت بسياج من التمحيص والتحقيق ، وإن كنا قد رأينا من خلال البحث بين أصاير المصادر والمراجع التى تحدثت بغناء عن الشعر الجاهلى أنه قد كان هناك رواة وضاعون مزورون

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطى ٣ / ٢٨٠ .

(٢) ذاته .

(٣) العصر الجاهلى د/ شوقى ضيف ص ١٥٦ ط دار المعارف بمصر ومن الظواهر الفنية د/ سعد ظلام ص ٥١ .

من أمثال ( حماد ) ومحمد بن السائب الكلبي وابنه ( هشام ) وكانا من أكبر الوضّاعين إلا أن العلماء الأثبات الثقات الذين شهد لهم المؤرخون بالأمانة العلمية كانوا لهؤلاء وأمثالهم من الوضّاعين بالمرصاد .

ولا يخفى على هؤلاء العلماء ما وضعه الواضعون ، يقول ابن سلام الجمحي « وليس يشكل على أهل العلم ريادة ذلك ولا ما وضع المولدون »<sup>(١)</sup> .

ومن بين هؤلاء العلماء الأمناء : ( المفضل الضبي ) و ( الأصمعي ) وليس ذلك بمسوغ للخوض في الشعر الجاهلي والطعن أو التشكيك فيه بحجة أن هؤلاء الرواة كانوا كاذبين في بعض ما رووا ، ودسوا أشعاراً على الشعراء وتقولوا عليهم ، فإن الحديث النبوي الشريف قد وجدنا فيه أحاديث كثيرة من وضع الوضّاعين ، وحيل المحتالين ، ولكن الله قيّض له رجالاً عدولاً فمحصوه وخرّجوه ، وحظى منهم بتنقيته من الشوائب وما علق به من دس المنافقين والكذّابين ، ومازوا بين الصحيح والزائف وقدموا لنا الصحاح الستة الشهيرة .

وذلك الأمر حدث بالنسبة للشعر الجاهلي ، حيث إن الميدان لم يخل للوضّاعين يصلولون فيه ويجولون ، بل كان هناك العلماء الثقات الأثبات لهؤلاء بالمرصاد ، فقد استطاعوا بجهودهم وأمانتهم ودقتهم ميز الصحيح من الزائف ، فكانوا بحق كالصير في الماهر الذي يميز العملة الجيدة من الرديئة ، الأمر الذي جعل ابن سلام الجمحي يقدم رواية الشعر الجاهلي على علماء الحديث النبوي فيقول : ( حدثني يحيى بن سعيد القطان ) قال :

رواية الشعر أعقل من رواية الحديث ، لأن رواية الحديث يروون مصنوعاً كثيراً ، ورواية الشعر ساعة ينشدون المصنوع ينتقدونه ويقولون : « هذا مصنوع »<sup>(٢)</sup> فواجب على الباحثين والدارسين للأدب الجاهلي ألا يتخذوا من هذه الاتهامات ذريعة للطعن

(١) طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي ص ٢٢ ط المحمودية بالقاهرة .

(٢) ذيل الأمالي ص ١٠٥ .

والتشكيك فى الشعر الجاهلى ، وإنما يجب أن نتحرى الصدق كما فعل الأوائل من الرواة الثقات من أمثال ( الضبى والأصمعى ) فنقبل ونؤيد ما هو ثقة ونرفض ما يرد إلينا عن طريق الرواة الوضّاعين والذين اشتهروا بالدسّ والوضع والنحل من أمثال ( حماد وخلف الأحمر ) وما ورد أيضاً عن طريق المتريدين من أمثال : ( عبيد بن شرية ) ومحمد ابن السائب الكلبي ( وابنه هشام ) وما وضعه القصّاص عن العرب البائدة كعاد وثمرود ، حيث إن الله تعالى يقول : ﴿ وأنه أهلك عاداً الأولى وثمرود فما أبقي ﴾ .

فكيف يروون لهم أشعاراً !!؟

إنه بلا ريب محض افتراء واختلاف ، كما يجب إهمال ما اختلف الرواة فيه ؛ أما الشعر الذى يرد إلينا عن طريق الرواة الثقات رواية أو اتفاقاً فواجب علينا أن نقبله بل ونؤيده وندافع عنه لدى هؤلاء الطاعنين أو الشاكين فيه .

وهذا منهج اتفق عليه القدامى ، فذلك ابن سلام الجمحى يقول : ( وليس لأحد إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شىء منه - أى من الشعر - أن يقبل من صحيفة ولا يروى عن صحفى ، وقد اختلفت العلماء فى بعض الشعر كما اختلفت فى بعض الأشياء ، أما ما اتفقوا عليه فليس لأحد أن يخرج منه <sup>(١)</sup> .

وبذلك استطاع العلماء تصفية الشعر الجاهلى وغربلته مما علق به من شوب الرواية ، وبدلوا جهداً لا ينكر فى هذا المجال ، مجال التمحيص والتنقيح ، والتشذيب والتهديب ، فقد كانوا يُقومون ما اعوجّ من وجهة نظرهم الأدبية واللغوية كوضع كلمة مكان كلمة ، أو لفظ بدلاً من لفظ آخر ، أو تقويم بعض الألفاظ فيجعلونها على لغة قريش التى نزل بها القرآن الكريم ، أو يصلحون بيتاً أو قصيدة من الناحية العروضية ، ولكنهم استطاعوا الحفاظ على جوهر الشعر الجاهلى محافظة تشهد لهم بالأمانة والثقة والدقة ، ثم نقلوه إلى الأجيال التالية لهم فى صورة مشرقة ومشرفة مطابقة تماماً لأصوله .

(١) إنباه الرواة على أنباء النحاة للفظى ٣ / ٢٨٠ .